في تحقيق اجرته "بهرا":

أساتذة وطلبة القسم السرياني.. همومٌ وأُمنيات

تحقيق: ألن البرت

اللغة هوية معبرة عن القومية. والحفاظ عليها انما هو الحفاظ على القومية والوجود والتراث والثقافة والحضارة للشعوب الناطقة بها.. واللغة السريانية هي احدى اللغات التي اصبحت لفترة لغة العلم والادب والتخاطب والثقافة والحضارة.. ولعبت دورا كبيرا في بناء حضارة ما بين النهرين وساهمت في نقل الارث الثقافي والادبي عن طريق الترجمات التي قام بها ادباؤنا من السريانية الى العربية.

وقسم اللغة السريانية الذي تأسس في كلية اللغات بجامعة بغداد قبل عدة اعوام والذي نجح في تخريج اول دفعة من الخريجين المختصين باللغة السريانية عام ٢٠٠٨، هو القسم الوحيد على مستوى الشرق الاوسط الذي يعمل على التعريف بهذه اللغة العريقة وتعليمها بقلميها الشرقي والغربي بين الطلبة وبجهود اساتذة مختصون بهذه اللغة وباللغات السامية الاخرى...

وللوقوف عن اهمية لغتنا الام ودور القسم السرياني في تعليم ونشر هذه اللغة، اجرت صحيفة "بهرا" عدة لقاءات مع عميد كلية اللغات في جامعة بغداد ورئيس القسم السرياني وبعض اساتذة القسم وطلبته..

د. عبد الواحد محمد مسلط
عميد كلية اللغات

ا. بهاء عامر عبود
رئيس القسم السرياني وكالة

د. بشير متي توما الطوري
محاضر في القسم السرياني

فعن معنى كلمة السريانية ومن اين اتت تسميتها وعن اقلام اللغة السريانية، تحدث الدكتور بشير الطوري: محاضر في قسم اللغة السريانية / عضو دائرة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي قائلا: 'معنى كلمة (السريان) هو الاسم المعرب لـ(اسيريان) ادخل عليها لام التعريف فاصبحت (السريان) فاسيريان هي الاسم المرادف لاشور في اللغة اليونانية. هذا هو الرأي المعوّل عليه اليوم. اما اراء الاباء فكانت انها مأخوذة من كلمة 'سورث' او 'سايرس' الذي بنى مدينة انطاكية. ولكن انا مع الرأي القائل انها آتية من تعريف اسيريان باضافة الف ولام التعريف المستعملة في اللغة العربية فاصبحت السريان. وهي تسمية شاملة لكل من ابناء منطقة الشرق الاوسط القديم او الشرق الادنى، ما بين النهرين وسوريا ولبنان وشمال ما بين النهرين اي منطقة الاناضول وجزء من فلسطين وجزء من شمال شبه الجزيرة العربية. اما من اين جاءت التسمية فكما قلت هنالك آراء مختلفة لكن الرأي المعوّل عليه انها مشتقة باضافة الف ولام التعريف في اللغة العربية على غرار الطليان والالمان وهكذا'.

واضاف الطوري: 'للسريانية عدة اقلام، اجل قلم منها هو القلم السطرنجيلي وهو قلم هندسي جميل وهو اصل الخط الكوفي العربي. وهناك خطان اخران احدهما الشرقي القريب من الخط السطرنجيلي استقر في القرن الخامس عشر، والغربي هو المدور لان التدوير اسهل في الكتابة من الزوايا واستقر في القرن الثاني عشر'. وقال ايضا: 'هناك ثمان خطوط اخرى مثل الاكري والدقيق والمقطع والجمري نسبة للاماكن التي تستعمل فيها ولكنها خطوط محلية لم تأخذ ذلك المدى مثل الخط السطرنجيلي والشرقي والغربي. كما ان الخط الغربي بدأ استعماله قبل الشرقي لانه استقر تقريبا في القرن الثاني عشر. اما الشرقي فلم ينفصل كثيرا عن السطرنجيلي الا في نهاية القرن السادس عشر، حيث تشير المخطوطات الى انه كان اقرب للسطرنجيلي'.

اما عن اللهجات السريانية واختلافها عن السريانية الفصحى فقال: 'اللهجات تتأثر كثيرا لانها محكية ولم تكتب قواعدها بطريقة علمية. ولذا تتأثر كل لهجة بمحيطها وتأخذ منه كلمات كثيرة. فهناك دخيل على اللهجات. فمثلا لهجات اورمي متأثرة بالكردية والفارسية ولهجة هكاري متأثرة بالكردية والتركية ولهجات سهل الموصل متأثرة بالعربية، ولهجة طور عبدين متأثرة بالتركية والكردية التي تعايشها. اما اللغة الفصيحة فأخذت في وقتها من اليونانية لانها لغة علم لكن صاغتها صياغة سريانية واستقرت وصارت جزءً منها'.

وتابع: 'اللغة الحية تأخذ وتعطي والتقارب بين اللغات شيء طبيعي، لكن الفصيح يجمع اكثر من اللهجات السورثية وذلك لاننا اذا اردنا ان نكتب فبأي لهجة نكتب؟ وبأي املاء نكتب؟ وعلى اي لفظ نعتمد؟ ففي القرية الواحدة هناك اختلافات كبيرة بين الالفاظ والمعاني. اذن يجب العمل على تنقية اللهجات من الدخيل والاخذ من الفصيح لكي نطور اللهجات باتجاه الفصيح. وفي حالة وجود كلمات اصيلة في اللهجات يمكن ادخالها الى المعجم السرياني الفصيح ولا ضير من ذلك'.

'للسريانية دور كبير في بناء الحضارة الرافدينية'، ذلك ما قاله الدكتور الطوري: 'السريانية حملت لواء الحضارة بعد سقوط بابل سنة ٥٣٩ قبل الميلاد واصبحت هي اللغة السائدة لانها لغة بسيطة فهي ابسط من اللغة الاكدية التي كانت تكتب بالحرف المسماري. والسريانية لغة ابجدية وحروفها بسيطة فتبنتها المملكة الاخمينية وعرفت بـ(آرامية المملكة). ثم كتبت فيها كتابات كثيرة، حيث استعملها اليهود المسبيون الى بابل في كتابة التلمود البابلي. وهناك لهجات مختلفة للارامية افصحها لهجة الرها التي ترجم اليها الكتاب المقدس واصبحت هي اللغة السائدة وقبلتها الكنيسة واستعملت في كتابات منذ عهد برديصان ومار افرام ومار نرسي ومار يعقوب السروجي واستمرت..

وحافظت السريانية على التراث الرافديني القديم ونقلته الينا، ففي بدء الحضارة العربية قدمت لها الكثير. اذ ترجمت من خلال الكتبة والمترجمين السريان مئات الكتب من اليونانية والهندية والفارسية الى السريانية ثم العربية وخصوصا في عهد بيت الحكمة. فقد كان آل بختيشوع في الطب وآل حنين في الطب والفلسفة والاداب وهم من حملوا لواء الترجمة واغنوا الثقافة العربية في تلك الترجمات فيجب ان لا ينسى دور السريان في بناء الحضارة العربية'.

كما تحدث الاستاذ بهاء عامر عبود/ رئيس القسم السرياني وكالة عن اهمية اللغة السريانية فقال: 'تعتبر اللغة السريانية احدى اللهجات الارامية الشمالية الغربية التي تفرعت من ارامية المملكة، وظهرت اولا في مدينة الرها جنوب شرق تركيا كنصوص تذكارية وجنائزية. وقد ساهمت بعد الميلاد في نقل النصوص والعلوم اليونانية واللاتينية الى العربية. وكان للعلماء المسيحيين دور بارز في نقل هذه العلوم الى اللغة العربية'.

وحول تأسيس القسم السرياني قال: 'تأسس القسم السرياني في الشهر الثالث وتحديدا ٣١/ اذار /٢٠٠٤ وقام الدكتور يوسف قوزي مشكورا بجهود حثيثة من اجل تاسيس هذا القسم ليشمل الناطقين بالسريانية وكان دور الاستاذ يونادم كنا السكرتير العام للحركة الديمقراطية الآشورية بارزا في اقامة وتاسيس هذا القسم، والحركة مشكورة اذ زودتنا بمعظم المصادر التي نحتاجها لكي تدعم القسم وعملية التعليم السرياني فيه. وفي البداية حصلنا على قاعتين دراسيتين لطلبة المرحلة الاولى والثانية وحاليا لدينا اربع قاعات، بالرغم من كونها صغيرة الحجم، لكنها تفي بالغرض عموما'.

طلبة
قسم اللغة السريانية

وعن خطوات تطوير القسم السرياني تحدث الدكتور بشير قائلا: 'لقد قدمت مجموعة مقترحات الى رئاسة القسم بخصوص تطوير عملية التعليم السرياني منها:

اولا: تهيئة درجات في الملاك لتعيين الاوائل من خريجي القسم ليصبحوا معيدين في القسم ثم تهيئتهم للحصول على شهادات عليا في مختلف اختصاصات وفروع اللغة كالنحو والادب والنصوص والشعر والنثر والى غير ذلك من فروع اللغة.

ثانيا: رفد الهيئة بمصادر حديثة من خلال الاتصال بدور النشر المهتمة في نشر التراث السرياني كدار 'ماردين' مثلا في حلب حيث نشرت مجموعة قيمة من كتب التراث السرياني.

ثالثا: تهيئة زمالات وبعثات لارسال الاساتذة والطلبة الاوائل للحصول علي شهادات عليا من جامعات رصينة كجامعة اوكسفورد وكامبريدج ولوفان وشيكاغو وتورينتو حيث تدرّس هذه اللغة في مناهجها العليا، وجامعة إيرلنغن الالمانية حيث ان هناك اتفاقا ثقافيا بيننا وعلى وزارة التعليم العالي ان تفعّل هذه الاتفاقية لتستفيد منها في عملية التوأمة.

رابعا: النظر في تعضيد نشر الكتب التي يقوم بتأليفها اساتذة القسم. حيث ان جامعة بغداد لم تصرف فلسا واحدا في هذا المشروع اذ لا تهتم بموضوع تعضيد النشر، فكيف يتطور قسم حديث بدون تعضيد نشر كتب الاساتذة؟ على انهم قاموا مشكورين بتأليف عدة كتب وعلى طريقة حديثة تتلاءم وحاجة القسم.

خامسا: 'التاكيد على حضور المؤتمرات على ان تقوم الجامعة بصرف اجور مجزية للمؤتمرين اسوة ببقية جامعات القطر كجامعة القادسية مثلا'.

وبخصوص اجور المحاضرات قال: 'اجور المحاضرات متدنية جدا حيث ان اجرة المحاضرة للمحاضر الخارجي '٣٥٠٠' ثلاثة الاف وخمسمئة دينار فقط. فهل تكفي كاجور نقل للاستاذ؟اليس من الافضل اعادة النظر في اسعار اجور المحاضرات خصوصا ان ميزانية الجامعة لا تليق بمكانة الجامعة؟ ثم ان طريقة الصرف غير سلسة وهناك تلكؤ في صرفها'.

اما عن امكانية فتح باب القبول امام الطلبة لنيل الشهادات العليا وتطوير القسم علميا، فتحدث عميد كلية اللغات الاستاذ الدكتور عبد الواحد محمد مسلط. فقال: 'نحن نرغب في تطوير القسم السرياني واساتذة القسم كذلك من خلال فتح الدراسات العليا، لكن الامكانات العلمية الحالية غير مساعدة لفتح الدراسات العليا لان ذلك يتطلب وجود اساتذة بلقب 'استاذ' واساتذة مساعدين ورئيس القسم وحده يحمل لقب 'استاذ مساعد'، وهناك تعليمات وزارية لا تسمح بفتح اي دراسات الا بوجود اساتذة كما ذكرت سابقا. وتجري المحاولات الان للاتصال ببعض المراكز السريانية في انحاء مختلفة من العالم للحصول على موافقات لكي نبعث قسم من اساتذتنا الى هناك لينالوا شهادات عالية كالماجستير والدكتوراه.. وبعد اكتمال حصولهم على المعرفة عند ذلك يمكن الحديث عن فتح دراسات عليا. اما المشروع الثاني فهو محاولة الاستعانة باساتذة من خارج الكلية اوالقطر كلما سمحت الظروف لذلك انما هنالك تردد من قبلهم للمجيء، مما حال دون اكمال المشروع'.

وبخصوص ذلك قال الدكتور بشير: 'الحل الوحيد بالنسبة للدراسات العليا هو ارسال الطلبة الاوائل وبعض الاساتذة الى الخارج، او استقدام اساتذة من جامعات عريقة لتدريس المقررات لفترة معينة تحت اشراف اساتذة من القسم، او فتح معهد متخصص لمنح شهادات عليا في هذا المجال'.

وبيّن الاستاذ بهاء عامر: 'حاليا لا نملك ملاكا مؤهلا لفتح دراسات عليا ماجستير او دكتوراه. لكن الدكتور يوسف قام مشكورا بجهود خاصة لعقد اتفاقية مع جامعة (إيرلنغن) في المانيا لتدريب الطلبة وتطوير لغتهم وفتح المجال امام الطلبة الاوائل من خريجي القسم لاكمال الدراسات العليا لكن الاتفاقية لم توقع لحد الان بانتظار اجابة الوزارة عليها ونأمل ان تصادق الوزارة على هذه الاتفاقية ان شاء الله'.

يدرس الطلبة بالاضافة للغة السريانية عدة لغات سامية شقيقة، كما قال الاستاذ حيدر حسين عبيد/ استاذ فقه اللغة المقارن: 'هناك اربع لغات سامية تدرّس في القسم هي الاكدية والمندائية والعبرية والارامية فضلا عن السريانية التي تدرّس كلغة رئيسة. فضلا عن اللغة الانكليزية والعربية ايضا. اما فائدة تدريس هذه اللغات السامية فهو لكي يعرف الطلبة كيفية صياغة اللغة بقواعدها وبجذورها ومن خلال القواعد السليمة. فاللغات السامية تشترك بجميع الحالات القواعدية من ناحية الصياغة والتحليل وتصريف الافعال وما يخص المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وغيرها من القواعد بشكل عام. لان السريانية تنتمي الى هذه اللغات التي لها جذور اصيلة ومشتركة فتكون هذه اللغات تقريبا متقاربة ومن خلال المقارنة مع باقي اللغات السامية نصل الى حقيقة اللغة السريانية'.

اما عن الفرص المتوفرة للعمل بعد التخرج فقال: 'ان كثيرا من الطلبة يفكرون بانهم لن يجدوا فرصة عمل بعد تخرجهم في هذا القسم لكن بالنسبة لي اجد العكس صحيحا، لان القسم السرياني في الاساس هو قسم فتي وحديث الولادة بالنسبة لهذه اللغة العريقة، وبما انه جديد العهد فانه يمكن ان تكون هناك العديد من فرص العمل وليس كما يتصور الطالب بانه لن يجد فرصة عمل'. واضاف: 'فمثلا فيما يخص العمل بمجال التربية فان وزارة التربية قد فتحت العديد من المدارس التي تدرس السريانية وهناك مدارس استقلت بذاتها اي يكون تدريس اللغة السريانية فيها من الصف الاول وصعودا، كمنهج تدريس القواعد والقراءة والمحادثة فضلا عن تدريس التربية الدينية المسيحية، اذ يمكن للطلبة ان يعملوا في هذا المجال'.

واستطرد قائلا: 'هناك مجالات اخرى عدا مجال التربية الواسع فيمكن العمل بمجال الترجمة بما ان الطالب خريج قسم اللغة السريانية، وكذلك الاذاعة والتلفزيون والفضائيات فهي بحاجة للملاكات المختصة التي تجيد السريانية كأن تبث الاخبار والبرامج بالسريانية. لذا ارجو من الطلبة ان يزيلوا الهم من عدم وجود فرص العمل، بل يجب ان يعملوا على انجاح هذه العملية التربوية بعد تخرجهم مستقبلا ان شاء الله'.

وكانت لصحيفتنا عدة لقاءات مع بعض طلبة القسم السرياني لمعرفة سبب دخولهم القسم وطموحاتهم بعد التخرج. فالطالبة سيفا عادل احدى طالبات المرحلة الرابعة قالت: 'دخلت القسم السرياني لان معدلي لم يسمح لي ان ادخل الكلية التي اريدها، لكن عندما بدأت الدوام فيه اعجبتني الدراسة كثيرا.. واتمنى ان اكمل دراستي بعد التخرج لانال شهادة الماجستير'.

وبدورها قالت الطالبة شميران ايليا يعقوب في المرحلة الثانية: 'في بداية الامر لم يكن قسم اللغة السريانية من رغبتي ولكن بعد دخولي القسم ودراسة المواد احببت اكمال الدراسة فكان هدفي هو زيادة وتقوية معلوماتي لاني في جوقة الكنيسة كما ان السريانية هي لغتنا ومن اللغات الحية التي يجب ان تبقى. و للقسم دور كبير في مساعدتنا على فهم اللغة بشكل اكبر، ورغبتي في نهاية دراستي هو اتاحة الفرصة لي لتدريس هذه اللغة بين ابناء شعبنا'.

وعن ذلك اضافت الطالبة مريم البرت في المرحلة الاولى قائلة: 'دخلت الى القسم السرياني بارادتي ولم اجد اية صعوبة في دراسة اللغة السريانية لان اغلب مفرداتها قريبة من لهجتنا العامية 'السورث' كما اني درست هذه اللغة في الكنيسة سابقا. والاساتذة يوضحون لنا الامور الصعبة التي تواجهنا في دراستنا. فالسريانية هي لغتنا الام ويجب على كل واحد منا ان يدرسها ويفهمها وبدونها يكون اميًا، كالعربي الذي لا يعرف القراءة والكتابة بالعربية فهو اميّ.. وانا اتمنى بعد التخرج ان اكمل الدراسات العليا واحقق شيئا في هذه اللغة الاصيلة'.

وعن دور الطلبة المتخرجين في اللغة تحدث الدكتور بشير قائلا: 'درجة البكلوريوس هي تهيئة الطالب المتخرج ووضعه على الطريق الصحيح ليستمر في عملية متابعة تطوير قابليته والاستفادة عن اسلوب التدريس الذي اخذه في الكلية. لاننا نعلم ان اللغة بحر واسع وعلى من يروم الحصول على درره ان يعرف كيف يغوص الى اعماقه'. واخيرا فانه ليس علينا ان نتعلم قراءة وكتابة هذه اللغة فحسب، بل يجب ايضا ان نفعّل هذه اللغة من خلال استعمالها في الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون وان نتحدث بها وان نؤلف كتبنا بالسريانية، ونستعملها في حياتنا اليومية لكي تبقى لغة حية ومتداولة، وننهض بها ليشع نورها الى العالم اجمع.. ويقع الثقل الاكبر من ذلك على هذه النخبة من ابناء شعبنا لنشر الثقافة الحية للغتنا الجميلة.

القحطانية تحتفل بالقديس مار افرام السرياني

دافيد شارو- القحطانية - زهريرا

يا أخوتي لا تدفنوني بقبر مزيّن، فإنني قبرٌ مليءٌ بالذنوب والخطايا. اقبروني بين الغرباء، حيث يقبر المساكين ولما يأتي ابن الله يدعوني ويبعثني من رمسي ويشملني بحنانه ومراحمه. أنا افرام الراحل، وها أنا أكتب وصيتي شهادة للتلاميذ من بعدي، كونوا مواظبين على الصلاة نهاراً وليلا، فإن الفلاح الذي يحرث ويثني تصبح غلاته جيدة، لا تكونوا كسالى فتنبت في حقولكم الأشواك، بل اعكفوا على الصلاة لأن من يتوق إليها كثيراً يستفيد منها في العالمين.

بهذه الكلمات الجميلة ذات المعاني السامية أنهى القديس والملفان مار افرام السرياني رحلة حياته المليئة بالعمل والعطاء والمحبة، ورحل ليترك لنا إرثاً إنسانيا غالياً وكنزاً ثميناً لا يقدر بثمن، هذا الإرث الذي سيبقى حيا ما دامت على هذه الأرض حياة.

تحت رعاية المجلس الملي بالقحطانية وبحضور الأب الفاضل القس ميخائيل يعقوب كاهن كنيسة مار اسيا الحكيم في الدرباسية وأهالي بلدة القحطانية والقامشلي أقام مركز التربية الدينية المهرجان العاشر للقديس مار افرام السرياني. شمس السريان وكنارة الروح القدس وملفان الكنيسة الجامعة وذلك يوم الأحد الموافق ٢٢/من اذار الجاري.

وكان عريف الحفل السيد رائد لحدو الذي رحب بالحضور وتحدث بموجز، قصير عن القديس والملفان مار افرام السرياني. بعدها كان نشيد المهرجان حيث قدمته فرقة قنشرين التابعة لمركز التربية الدينية من خلال شاشة السلايت. ثم ألقي الأستاذ سنحاريب حنو رئيس مركز التربية الدينية محاضرة قيمة تحدث فيها عن مار افرام الشاعر وركز في مقالته على نبوغ هذا القديس في الشعر الذي ألف الكثير من الأشعار والتراتيل والابتهالات حيث فاقت مؤلفاته ١٢ ألف قصيدة و٣ مليون بيت من الشعر وركز المحاضر على الجانب الأدبي والفكري لقديسنا، وقال انه يجب أن نهتم أكثر في إظهار عبقرية الذين أفنوا حياتهم في خدمة الأدب والفكر ليس فقط الاهتمام بالجانب الديني لهؤلاء العظام.

ثم كانت الفقرة التالية مع الغناء حيث قدمت فرقة قنشرين أيضاً من خلال السلايت بعض الأغاني الجميلة التي أطربت الحضور بعدها قدم السادة ملكي حبصون وملكي حيدو وحنا بهنان بعض من قصائدهم الجميلة التي تحدثت عن مار افرام وبعضها الآخر تحدث عن الأم الذي تزامن عيدها مع إقامة المهرجان.

بعد ذلك ومن خلال السلايت استمتع الحضور بمشاهدة بانوراما المهرجانات السابقة التي استغرقت حوالي الساعة والتي تناولت تسع مهرجانات من العام ١٩٩٩ وحتى الآن وكان السيد رائد لحدو يتحدث بموجز عن كل مهرجان وعن الفقرات التي قُدمت فيه ثم كانت كلمة الختام مع الأب الفاضل القس ميخائيل الذي تناول حياة مار افرام الملفان العظيم من كافة الجوانب وقد تساءل المحاضر عن كيفية الاستفادة من تجربة القديس في وقتنا الحاضر بمعنى أن تكون سيرة وحياة هذا القديس مثالا حسنا لإنسان هذا العصر وأن نقتدي به. وأخيرا أقولها ورغم فرحتنا الكبيرة التي عشناها خلال هذا المهرجان، وغيره من التظاهرات الثقافية التي حدثت في القحطانية والقامشلي، وغيرها من مدن الجزيرة إلا أننا كنا متألمين وقلوبنا تعتصر ألما لغياب التلفزيونات التي تدّعي أنها سريانية ومكاتبها متواجدة في القامشلي، في حين إن تلفزيون آشور كان يغطي كل هذه المناسبات عندما كان له ملاك في القامشلي، وهو سيستمر مستقبلا بلعب هذا الدور حين يكون ملاكه جاهزاً للعمل. والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا هذه التسمية ما دامت لا تتواجد بهكذا مهرجانات وتظاهرات فنية وثقافية تخص شعبنا الكلداني السرياني الآشوري، ولماذا إذا يقوم القائمون على هذه التلفزيونات بزيارة شعبنا في أماكن تواجدهم، ولمّ التبرعات منهم بحجة دعم هذه القنوات الفضائية، مادام الأمر هكذا فإذاً من الواجب على مندوبي تلك التلفزيونات تغطية كافة النشاطات التي يقوم بها شعبنا وعلى جميع الصعد.